

Journal of Arabic Prose Studies

A study of cultural system in the book of al- Mustatraf fi kull fann mustazraf by Al-Abshihi

Esra Rashed Hssani¹  | Mehdi Naseri²  

1. MA Student of Arabic Language and Literature, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, University of Qom, Qom, Iran. E-mail: rasra4163@gmail.com
2. Corresponding author, Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, University of Qom, Qom, Iran. E-mail: M.Naseri@qom.ac.ir

Article Info	ABSTRACT	
Article type: Research Article	Undoubtedly, cultural criticism is one of the elements of modern language studies that reveals the nature and secrets of language and literary texts. The selection of the title: (The cultural system in the book of al- Mustatraf fi kull fann mustazraf by Al-Abshihi) was not random and the researcher had several reasons for it. First of all, al- Mustatraf fi kull fann mustazraf by Shahabuddin Muhammad Bin Ahmad Abulfath Al-Abshihi is considered one of the most important books that were written in the first half of the 9th century of Hijri. This book has been written in Arabic on various subjects, including the basics of Islam, spiritual, political, and social life, Arab history, ethics, etc. On the other hand, the importance of this research is that it deals with the very important issue of literary criticism. The present research has evaluated and analyzed the book al- Mustatraf using a descriptive-analytical method and in the end, the following results have been achieved: the cultural model is considered the most obvious and the most common model used in the book of al- Mustatraf. Among the cultural system in al- Mustatraf, the effect of linguistic culture appeared very clearly, and this effect was reflected in a prominent form in the different formats that were employed in this book.	
Article history: Received 15 September 2023 Received in revised form 15 October 2023 Accepted 22 October 2023 Published online 17 February 2024		
Keywords: al-Mustatraf fi kull fann mustazraf, Al-Abshihi, Cultural system, Culture, literary criticism.		
Cite this article: Rashed Hassani, Esra., Naseri, Mahdi. (2023). A study of cultural system in the book of al- Mustatraf fi kull fann mustazraf by Al-Abshihi. <i>Journal of Arabic Prose Studies</i> , 1 (1), 1-17. DOI: http://doi.org/10.22091/npa.2023.9876.1005		
	© The Author(s). DOI: http://doi.org/10.22091/npa.2023.9876.1005	
Publisher: University of Qom.		

نثر پژوهی عربی

النسق وأنواعه في كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي

إسراء راشد حساني^١ | مهدي ناصري^٢

١. الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قم، قم، إيران. البريد الإلكتروني: rasra4163@gmail.com

٢. الكاتب المسؤول، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قم، قم، إيران. البريد الإلكتروني: M.Nasari@qom.ac.ir

معلومات المقالة	الملخص
نوع المادة: مقالة محكمة	لا شك في أن النقد الثقافي عن صر من عناصر الدرس اللغوي الحديث الذي يكشف عن طبائع النصوص اللغوية ويبحث في خباياها، ويمكننا من التعرف على أسس كل مجتمع وطبيعة ثقافته وثقافة أفراده، ومدى الحرص على بيان متعلقات النصوص، ومحتواها، فلم يكن اختيارنا لهذا العنوان: (النسق وأنواعه في كتاب المستظرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي) من قبيل الصدفة، وإنما هنالك الكثير من الأسباب منها أن هذا الكتاب من أهم الكتب التي يركز على الأخلاق والأدب والتاريخ وأخبار العرب. من جهة أخرى إن أهمية هذا الموضوع تكمن في أنه ينبع من النقد وهذا ما يسترعي الاهتمام، وجمع بين التلقي قديماً وحديثاً وأسس لممارسة جماليات التلقي على الخطاب النقدي، وحاول استنباط مهام القارئ في النصوص الأدبية القديمة، والتوصل إلى أن ما وصلت إليه نظرية التلقي كان ممارساً واقعياً في العملية النقدية العربية قبل الآن. وقد اتبعنا بدرجة ستتنا هذه مناهج عديدة منها ما ارتبط بنظرية النقد الثقافي وما يتصل بها من منهج التأويل، ومنها المنهج البنوي، والذي اعتمد على تناول الوثيقة النقدية كبنية سياقية معزولة عن باقي البنية. كذلك اعتمدنا المنهج التاريخي الذي من خلاله نبهت عن تاريخ المادة وجذورها تاريخياً، وإسقاط معايير نظرية التلقي المعاصرة على النصوص النقدية القديمة. وأخيراً خلاص المقال إلى نتائج من أهمها: أنه كان المهيم الغالب والأكثر دوراً في كتاب المستظرف من الأنماط والأنساق الثقافية هو النمط الاجتماعي. ظهر في المستظرف أثر الثقافة اللغوية بشكل واضح متناه في الدقة وانعكس هذا الأثر جلياً في أنماط الأساق التي وظفت في ما اشتملت عليه نصوصه.
الكلمات الرئيسية: المستظرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، النسق، الثقافة، النقد الأدبي.	

الاقتباس: راشد حساني، إسراء؛ ناصري، مهدي (٢٠٢٣). النسق وأنواعه في كتاب "المستظرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي، بحوث في النثر العربي، ١ (١)،

١-١٧. <http://doi.org/10.22091/npa.2023.9876.1005>



© المؤلفون.

الناشر: جامعة قم.

١. المقدمة

يعد المستطرف في كل فن مستظرف كتابا في الأدب والأخبار، من تأليف بهاء الدين الأبشيهي المتوفى نحو ٨٥٠ هـ .. إن هذا الكتاب مكوّن من أربعة وثمانين بابًا. يركز المستطرف على الأخلاق والأدب والتاريخ وأخبار العرب والإنسانيات بشكل عام حيث قام الأبشيهي فيه بضم مختلف الأدب والعلوم والأخلاق ثم ترتيبها على هيئة أبواب. يقول حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون بخصوص كتاب المستطرف: «المستطرف من كل فن مستظرف له شيخ الإمام محمد بن أحمد الخطيب الأبشيهي وهذا الكتاب يشتمل على الفنون الظرفية والجميلة وفيه الاستدلال من القرآن الكريم وأحاديث صحيحة وقصص وحكايات حسنة وطيبة عن الأخبار ونقل فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد ربه في العقد ويحتوي كذلك على لطائف عديدة من مختارات ومنتخبات الكتب المفيدة وأودعه من الأمثال والنوادر الهزلية والغرائب والدقائق والأشعار والقصص القصيرة وجعله يتضمن أبوابا يبلغ عددها أربعة وثمانين بابا» (ينظر: حاجي خليفة، ١٩٩٩، ٢: ١٦٧٤).

١ - ١. أهمية وضرورة البحث

لدراسة ملامح التناص في كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي علينا أولا وضع يد المتلقي على تعريف اصطلاحي لمصطلح التناص الذي كتب فيه العديد من النقاد العرب والغرب وقد تبلور مفهوم التناص قديما عند الشعراء والكتاب العرب، إذ كان الشاعر يعتمد التناص في تأليف مقطوعته الشعرية معتمدا الذاكرة التي تحتفظ بما مر بها على مسمعه من أشعار. كان باختين أول من كتب في التناص لكن بتسمية أخرى وهي الحوارية، إذ اتخذ عنده التناص المبدأ الحوارية والذي يعد أهم مظاهر الرواية الحديثة أو المتعددة الأصوات (ينظر: تودوروف، ١٩٩٦: ١٢١)، بعد ذلك أكملت (جوليا كرسيفيا) مسيرة باختين مرتكزة على المبدأ الحوارية لباختين، وأمثلة خاصة من التناص توضح بأنه تبادل الاستجابات بين متكلمين، أو لفهم باختين الخاص للهوية الشخصية للإنسان، فأكمل المصطلح ولأول مرة على يد الباحثة جوليا كرسيفيا (ينظر: حفيظة، ٢٠٠٦: ٣)، وأكدت على أن كل نص هو وليد نص سبقه وعرفت التناص على أنه: «جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية... تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها» (فضل، ١٩٩٢: ٢٢٩).

تقع أهمية هذه الرسالة في محاولة الكشف عما في كتاب (المستطرف للأبشيهي) من أنماط ثقافية وأنوع تنظم النسق اللغوي وغيره كالنسق الاجتماعي وتحولات الثقافي والإرهاصات الناتجة عن الوعي المضمر في تدوين الأثر اللغوي التراثي وما سببته لنا من خفايا النصوص ومراد المنشئ وموت ما يسمى بالنقد اللساني وتحولات الثقافة. ومن أهم الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الصدد هي كما يلي:

١. أي الأنساق كان غالبا عند الأبشيهي في كتاب المستطرف؟

٢. أي الأنساق كان أقل ظهورا من بين الأنساق الثقافية الموجودة في كتاب المستطرف؟

٣. كيف كان أسلوب الأبشيبي في النسق المضممر والظاهر في نصوصه وأياها كان الأكثر شيوعاً؟

ومن فرضيات البحث هي:

١. يبدو أن النمط المهيمن الغالب والأكثر دورانا في كتاب المستظرف من الأنماط والأنساق الثقافية هو النمط الاجتماعي.
٢. إن الدراسات الأولية تدل على أن النسق السياسي يكون الأقل حضوراً من بين الأنساق الثقافية المهيمنة على نصوص الأبشيبي، ولعل السبب في ذلك راجع إلى السلطة الحاكمة آنذاك وما انعكس من آثاره حيث انصرف المؤلفون إلى الإضمار وإخفاء الرمز في الكلام.
٣. كان أسلوب الأبشيبي متسقاً حتى كأنه كان على وتيرة واحدة من حيث سوق النصوص الواردة في متن المستظرف، وعمد إلى ذكر الروايات والحوادث التاريخية معززا بعضها ما ذكر من نصوص، وهي في حد ذاتها تقوي أواصر النصوص ولحمتها، وتزيد من تقوية النسق الظاهر أو المضممر في كل نص على حدة.

١-٢. منهج البحث

اعتمد هذا البحث في منهجه على طبيعة الموضوع من حيث كون مادة كتاب (المستظرف في كل فن مستظرف للأبشيبي) على تعدد الموضوعات التي احتواها الكتاب ووفرة المادة بين المتلقي والمنشئ بمعنى آخر بين الناقد الثقافي والنسق على تعدد أنماطه الواردة في الكتاب من نسق ظاهر، ومضممر، ونسق اجتماعي، وآخر تاريخي وغيره مما احتواه الكتاب مسلطاً الضوء على أهم الأنساق الكاشفة لثقافة الأبشيبي وبيئته التي فرضت مادة الكتاب ومحتواه.

١-٣. سابقة البحث

لم تتوفر دراسة سابقة في كتاب الأبشيبي لدراسة النسق الثقافي فيه أو حتى النقد الثقافي من خلاله غير أننا نجد بعض الدراسات في حقل النقد الثقافي ومنها:

١. مقال «الأصول المعرفية لنظرية التلقي» لناظم عودة خضر . (1998). سعى هذا البحث لدراسة نظرية هادفا الإشراف الواسع للمتلقي، وهو هدف غايته تنمية ذوقه الجمالي من خلال الاتصال الوثيق بالنصوص الفنية. إن مهمة القارئ هي مهمة تأويلية في المقام الأول، بحيث يجب أن تكون هي العملية التوضيحية للمعاني الكامنة في النص، والأجدر أن لا يقتصر تأويله على معنى واحد فقط أو على معنى سطحي.

٢. كتاب «النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية» للمؤلف عبد الله محمد الغدامي (2005). هكذا يرى الغدامي في هذا الكتاب أن: " النقد الثقافي فرع من فروع النقد العام للنص، ومن ثم فهو أحد العلوم اللغوية والحقوق الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل مظاهره وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسسي وما هو كذلك سواء بسواء.

٣. كتاب «لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة». للمؤلف أحمد يوسف عبد الفتاح (2010). يتناول الباحث عبد الفتاح أحمد يوسف من مصر، في دراسته المعنونة بـ "لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة" في إشكالية التداخلات المعرفية بين أنساق

الثقافة، ولسانيات الخطاب ونظامه الإرشادي المعقد، بالعمل على إبراز دور العناصر الثقافية في منح الخطابات خاصية التداول والانتشار، بحيث يبدو لنا أن هناك علاقة براجماتية بين أنساق الثقافة وتقاليد الخطاب... كما يتناول هذا البحث العلاقة بين البنية الذهنية للمبدع، والبنية الخطابية بحيث توصل الكاتب إلى أن البنية الخطابية تقوم على معطيات معرفية يمكن أن توفرها البنية الذهنية على أنها إنتاج فكري لموجودات سوسيو - ثقافية من ناحية، والعلامة اللسانية التي يعبر بها الشاعر عن تجربته من جانب آخر.

4. مقال «الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال». لبوهزة العمري وساهل مهدي (2021). تناول هذا البحث رصد مفهوم النسق واشتغاله وفق آليات معلومة وكذا معرفة مدى فعاليته، علاوة على تداخل هذا المصطلح مع كثير من المصطلحات كالبنية والسياق والوظيفة. تعرض البحث أيضا للنظرية النقدية المعاصرة، ثم انتقل من قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، ومن ثم تم إعلان ميلاد النقد الثقافي كمشروع بديل عن النقد الأدبي، وأضحى الحديث عن السياق والأنساق. إن هذه النقلة المعرفية التي أذنت بأفول الدراسات الأدبية، وميلاد مشروع الدراسات الثقافية، فرضت تغييرات جذرية على مستوى القراءة والتأويل، حيث لم يعد النص هو المقصود بالقراءة والتأويل، إنما الأنساق الثقافية التي يحبل بها النص.

٢. الإطار النظري للبحث

المستطرف في كل فن مستظرف هو كتاب في الأدب والأخبار، من تأليف بهاء الدين الأبشيهي (790 - 852 هـ) وهو أديب مصري، قام بإعداد هذا الكتاب الرائع في الأدب والأخبار. بهاء الدين (أو شهاب الدين) أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، نسبته إلى قرية أبشيه (أبشواي) من قرى الفيوم. أقام في المحلة، ورحل إلى القاهرة غير مرة، واستمع إلى دروس جلال الدين البلقيني. درس الفقه والنحو وولي خطابة ببلدته بعد أبيه. توفي سنة 852 هـ، وقيل سنة 850 هـ. أشهر بتصنيف كتاب «المستطرف» وغلبت الطرافة وضعف اللغة على آثاره. وله غير المستطرف كتاب «تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين» و«أطواق الأزهار على صدور الأنهار». كما شرع في تأليف كتاب «في صنعة الترسل والكتابة» فيهدف هذا البحث الذي يحمل عنوان: «النسق وأنواعه في كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي» إلى الآتي: أولا: التعريف بمفهوم النقد الثقافي، وحدوده اللغوية وغيرها. ثانيا: بيان الأنساق الثقافية ومراحل تطورها وموازنة الدراسات العربية والغربية بها. ثالثا: الوقوف على أنواع الأنساق الثقافية الواردة في كتاب الأبشيهي في ضوء النقد الثقافي والتلقي. رابعا: بيان الأثر اللساني اللغوي الناتج عن الأنساق الموظفة في المستظرف.

٢ - ١. النص والقارئ

يعتمد العمل الأدبي على قطبين رئيسيين هما: النص والقارئ، وقد اتجه الباحثون الذين كان لهم باع كبير في النقد الألماني منهم أيرث في كتابه فعل القراءة، نظرية الأثر الجمالي وكان دفاعه عن القارئ بطريقة حادة وتحليلات فائقة إذ أعطى الأولوية

للقراء في إعادة إنتاج النص الأدبي وعدّ القراءة شرطاً رئيساً وضرورياً في تفسير وتأويل النص، وقد لخص أبرز رؤيته للقارئ والنص، قائلاً: «نستطيع القول إن العمل الأدبي له قطبان: القطب الفني يتعلق بالنص الذي أنتجه الكاتب، بينما القطب الجمالي يتعلق بالتحقيق على مستوى القارئ....» (ينظر: مباركية، ٢٠٠٥: ٢٨) وهذا ما يبين التواصل بين الكاتب والقارئ. «في بادئ الأمر يمكن أن تكون جمالية التلقي هي التي اكتسبت مشروعيتها من متلقيها فركزت جهودها في تفهم شروط القارئ في أثناء عملية قراءته أكثر من كل شيء آخر، ومن ذلك يمكننا عرض بعض التساؤلات حول القارئ وأهميته، فما المقصود بالقارئ؟ وكيف يقرأ القارئ مستفيداً في ذلك من ذخيره الفلسفية الظاهرية، ومن هنا نصت نظرية التلقي الشعاري على المنوال الظاهري: أنا أقول إذن أنا ما شكل في القراءة» (مروك، ٢٠١٠: ٣٩-٣٨)، إذ وضعت للقارئ مكانة رئيسة بالنسبة لمحور التواصل.

٢-٢. النقد الثقافي

لا شك في أن القارئ يختلف ويتعدد، ويتباين تبعاً لاختلاف ما يتمتع به من ثقافات سابقة وإمكانية في خوض غمار النص الأدبي والولوج في خفاياه، «إن نظريات القراءة قد صنفت جنس القراء إلى عدة أصناف؛ إذ يمكن الحديث عن القارئ النموذج عند امبراطور إيكو، والقارئ الجامع عند ميكائيل ريفاتير، والقارئ الخبير عند فيش، والقارئ المرتقب عند وولف، والقارئ القصدي عند إيفيش شفيل، والقارئ المثالي عند آيزر، والقارئ الخيالي عند آيزر أيضاً، والقارئ الضمني عند آيزر كذلك والقارئ الملتمز، والقارئ المستهدف، والقارئ المورط، والقارئ المسقط، والقارئ التاريخي» (مؤنسي، ٢٠٠٧: ١٠)، كثرة أنواع القراء المتمكنين من الذصوص مما ينم عن تعدد القراءات وتوليد المعاني والتفاسير والتأويلات. ونجد تنوع المتلقين للأثر الأدبي، إذ ذكروا عدة أنواع منهم فهم يختلفون في خبراتهم وإمكانياتهم وقدراتهم التي تساهم في ملء فجوات النص الأدبي «ومن أهم هذه الخبرات ما ذكرها ميجان الرويلي وسعد البازعي إذ يشترطان في المتلقي مجموعة من الخبرات: كأن يمتلك الخبرة الاعتيادية، فجعلها شرطاً في خبرات المتلقي، القارئ لفتح مغاليق الذصوص ومعرفة مكنوناتها، فمن بين هذه الخبرات امتلاك القارئ الخبرة الاعتيادية، والمباشرة والخبرة الذاتية العالية، والخبرة المعجمية والخبرة الأيديولوجية، والخبرة الأخلاقية، والخبرة التاريخية، والخبرة الثقافية والخبرة النفسية والخبرة الافتراضية» (الرويلي والبازعي، ٢٠٠٢: ١٩١)، لذا فقد كان لتنوع وتعدد القراءات أفقاً واسعاً لتجدد وتعدد القراءات للنص الواحد وهذا اطلق عنان القارئ للوصول لتأويل اقرب إلى نفوس المتلقين.

٢-٣. حدود الأنساق

النص: رسالة إبداعية يتلقاها القراء أو الجمهور بواسطة فعل الإرسال، أو الإصغاء وعرف النص اصطلاحاً عند العديد من النقاد فمنهم تعريف نصر حامد أبو زيد إذ عرف النص على أنه «الوسيلة الإبداعية التي يشترك فيها طرفان مرسل، ومرسل إليه، والنص بمثابة رسالة بينهما» (أبو زيد، ٢٠١٤: ٢٩-٢٧)، ويرى الناقد حبيب مؤنسي: «أن القراءة والتلقي

هي أهم أسس النص ومركزاته، إذ كلما كان فعل القراءة تفكيكياً تشريحياً يتمرس للولوج في النص ومعرفة خفاياه ومكانته كلما زاد كشف حقيقة هذا العمل الأدبي الذي جعله الناقد عملاً للمتعة واللذة» (مؤنسي، ۲۰۰۷: ۵)، لذلك أصبح كاتب النص يضع في مخيلته القارئ قبل البدء بعملية التأليف. وعرفه عبد العزيز حمودة على أنه «نسيج من الآثار التي تشير بصورة لا نهائية إلى أشياء ما غير نفسها» (حمودة، ۱۹۹۸: ۲۶۶)، وللنص الأدبي الصدارة في العمل الإبداعي ونظرية الاتصال فقد سبق ظهور نظرية التلقي بكثير، وكان للنص الذي فهم في المعتاد على أنه العمل الأدبي والفني الكلامي في ال سيادة العليا، «فقد حل العمل الفني الموضوعي الأدبي ذو البيئة المتفردة والمعنى النهائي المفرد جملة متنوعة من النماذج ويكون فيها جوهر العمل ك شف لتاريخ لا يتحمل مطلقة في الوقت الذي يتشكل في معناه عن طريق التفاعل بين النص والقاري» (هولب، ۲۰۱۹: ۲۱۹-۲۱۷).

۲-۳-۱. مفهوم النص

وردت لفظة نص في لسان العرب بقوله: «بلغ الشيء نصه أي منتصاه ونص الحديث أي رفعه... ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض» (ابن منظور، ۱۹۹۶: مادة نص)، أما في القاموس المحيط فيعني النص المنتهي والاكتمال، إذ يذكر بذلك مستشهداً بقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا بلغ النساء نص الحقائق أو الحقائق فإلصقة الأولى وإذا بلغنا الغاية التي عقلنا فيها على الحقائق وهو الخصام» (الفيروز آبادي، ۱۹۹۵: مادة نص)، ومن ذلك نستخلص أن ما تدل عليه لفظة (نص) هو الكمال، أو الاكتمال، والاتصاف والإظهار.

أما مفهوم علم النص اصطلاحاً: «فهو كلمة لاتينية أتت من فعل النص وتعني في العربية (النسج)، إذن فالنص يساوي النسج، إذ هو النسج لما فيه من تسلسل أفكار وتوالي معاني» (ينظر: الصبيحي، ۲۰۰۸: ۱۹)، والنص عند الأزهر الزناد هو «مجموعة من المفردات يترابط بعضها مع بعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نسميه مصطلح نص» (ينظر: الزناد، ۱۹۹۳: ۱۸)، لذلك يعد النص كالجسد الواحد مترابط الأعضاء. «للناقد عبد الملك مرتاض هو وكثير من النقاد العرب وقفة على مصطلح النص، إذ يمتزج رأيهم بشيوع المصطلح وحيرتهم في عدم وجود أصل لهذا المفهوم في المعاجم العربية القديمة» (ينظر: كرستيفيا، ۱۹۹۱: ۱۸)، على الرغم من ذلك فقد كانت دلالة النص لم تقتصر على النص الأدبي، بل أصبحت تعبر عن الفنون الأخرى وعلوم متنوعة مقروءة كانت أم مسموعة بملكة الإدراك الثقافي، لذا ظهر مصطلح شامل لكل الفنون وهو النص الفني، «وينتسج النص على جانبيه هما أولاً: الجانب الموضوعي يشير إلى اللغة، وهي المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، وجانب ذاتي يشير إلى فكرة المؤلف ويتجلى في استعماله للغة» (أبو زيد، ۲۰۱۴: ۱۳)، «وهناك العديد من مباحث علم النص ومفاهيمه وأهميتها في دراسة النصوص وتحليلها والولوج

1. Texeus

2. Texere

في حيثيات أي نص فني، أدبي كان أم علمي وكذلك في حيثيات الات ساق (الات ساق، الان سجام، تما سك النصي، القص، والقصدية، المقامية، والتناص) (ينظر: الصبيحي، ٢٠٠٨: ١٠٠-٨٠)

٢-٣-٢. إنتاج النص

يعد إنتاج النص إحدى أهم مستويات التلقي لدى القراء، ومتلقي النص الأدبي وقد فصل القول فيها الكاتب والناقد (محمد عزام) قائلاً: «هي الوقوف عند حدود التلقي المباشر وتجهتد في أن يكون هذا التلقي بأكبر قدر من الأمانة»، أي بأقل تدخل ممكن، وهذه القراءة تحاول أن تخضع نفسها للنص، فتبرز ما يبرز، وتخفي ما يخفي لتقدم لنا صورة طبق الأصل عن المقروء، أي تعبيراً مطابقاً لوجهة النظر الصريحة التي يحملها، وهذا ما نجده كثيراً في الكتب المدرسية والمؤلفات الجامعية، (الأكاديمية) وهي قراءة ذات بعد واحد، لأنها تحاول أن تبني نفس البعد الذي يتحدث عنه صاحب النص» (عزام، ٢٠٠٧: ١٤)، فإن سيد الموقف في العمل الأدبي هو قارئ النص.

٢-٣-٣. السياق

«السياق هو الذي يوضح الأسرار والنكت الدلالية في أسلوب نص ما، ويكشف عن الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصية التركيب وربط تلك الخصوصيات التركيبية بالغرض العام فضلاً عن أن السياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في كل حالة من الحالات» (الزيادي، ٢٠١١: ١٤٥)، وهو تلك الظروف أو تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ومن خلاله يتعدد المعنى المقصود «ويقوم السياق بضم الكلمات إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تشابهها وما توحيه من معاني متباينة أو مجتمعة داخل النص. إذ يعنى السياق بالنص وما يحيط به من المعاني والدلالات المشتركة في رسم صورة النص الأدبي وبناء كيانه». (ينظر: بدر، ٢٠١٦: ١١٩). وقد استعان القارئ بالسياق لمعرفة المعنى والدلالة داخل الإطار النصي إذ إن المعنى لا يظهر للقارئ دفعة واحدة وإنما عبر مستويات وذلك بفعل الإدراك الجمالي يشير إلى هذا المعنى آيزر حين قال: «أن النص لا يظهر المعنى في نمط محدد من العناصر وإنما يتأسس على وفق مستويات تظهر إلى الوجود بفعل الإدراك الجمالي فهو يرى أن هناك مستويات تتم وفقها عملية متواصلة لبناء المعنى، تحتمل خلالها العناصر التي تساهم في البناء موافقها بالانتقال من المستوى الخلفي (السياق المرجعي) إلى المستوى الأمامي (النص) تنظم هذه النظرية علاقة النص بالسياق الخارجي وإن النص لا يمكن فهمه إلا على ضوء هذه الخلفية وكذلك كفاءة القارئ المعرفية وقدرته على الاستمرار في عملية القراءة والوصول إلى بناء الموضوع الجمالي» (المصدر نفسه)، وثمة مسوغات عدة يعرضها القارئ ليبرر بها صلته الوثيقة بالسياق ومنها الآتي: إحساسه بأن الأدب صورة من سلطة المؤلف وواقعه، فيرصد علاقات النص بخارجه إذ يتم استحضار الملابس الشخصية، والاجتماعية واللغوية، والأدبية، والأيدولوجية التي كتب فيها النص. يعتقد القارئ بعدم إمكانية دراسة النص خارج إطار دلالاتها السياقية، والاجتماعية من منطلق أن تغير الواقع يقتضي إجراء بعض التغيرات على التركيب القديمة لرأب صدوع علاقتها بالواقع الجديد. إن سطوع العالم الخارجي للنص أمر لا بد منه ما دام القارئ بحكم طبيعته اللغوية نفسها منطقياً على إشارة إلى هذا العالم بطريقة أو بطريقة ثانية. فإنه سيتعين بذكراته وما تحتزنه

من تفاصيل ما قد حدث حين يرى أن ما في المقروء يشبه الواقع الحقيقي خارج النص. أهمية السياق إيمان القارئ به لوصفه موجهاً في بلوغ القراءات هو الأكثر صحة. لا يمكن أن تتم القراءة المتكاملة للنص إلا بالتوجه القرائي لكشف المضمين المختلفة إذ يتحقق من خلالها توزيع الرؤية الاجتماعية لكن من المؤلف والعمل الأدبي، أو المتلقي أو الجمهور (القراء).

كان اهتمام القراء في سياق النص، أو سياق الكلام أمراً محتوماً فقد وضع النقاد وعلماء اللغة أولية هذا العنصر في بناء النص الأدبي المتوا شج، والمتكامل؛ لأنه يعتمد على منهجية ال سياق والعناصر الدلالية داخل النظام النصي، «فقد أسس "منهج على توا شج أجزاء اللغة لتأخذ دورها في إظهار معنى الكلمة داخل ال سياق، ويقوم ال سياق عنده على نوعين: - ال سياق الداخلي للحدث اللغوي، ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين. - ال سياق الخارجي ويتمثل في ال سياق الاجتماعي أو سياق الحال» (عنوز، ٢٠١٦: ١٢٣). يتضح عند الولوج في ال سياق وتطبيقاته على النصوص الأدبية (النثرية والشعرية) إن ال سياق يدرس الجوانب التي تحيط في النص الأدبي سواء كانت اجتماعية، أم ثقافية، أم تاريخية، أم فكرية (أيديولوجية)، فيعد السياق منطلق أساس للقراءة الصحيحة، ولا يمكن أن تأخذ بصحة القراءة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق، لان فاعلية التواصل اللساني وأشكاله ووسائل قراءة عن أخرى يحددها الواقع الاجتماعي والثقافي للعصر، «فالتغير الذي يطراً على التواصل المجتمعي اللساني حاسم تمام الحسم، تحديد المتغيرات ال شكلية بخصوص بث خطاب الغير لذلك فإن أنواع العلاقات المجتمعية الأيدولوجية المتحولة عبر التاريخ تتجسد في تضاريس خاصة في أشكال ادراك كلام الغير وشخصية المتكلم بواسطة اللسان ذاته» (بوسف، ٢٠١٠: ٣٩-٣٨)، «و سطعت أنوار الدرامات السابقة في السياق الذي يتركز جهده على السياقات الاجتماعية والفكرية وغيرها ومن أهم هذه الدرامات "قراء أدب نجيب محفوظ هي ال سياقات الاجتماعية (التاريخية، وال سياقات الفكرية (الايدولوجية)، وال سياقات النفسية، ويصح القول بأن القراءة العربية لأدب نجيب محفوظ هي القراءة الموجهة بالسياقات نظراً لغلبة هذا النوع على سائر صنوف القراءات الأخرى حيث يوجه الاهتمام غالباً نحو المحتوى» (سعدون، ١٩٧٦: ٣٠)، ونجد كثيراً من النقاد يوجه القراء على الاهتمام بالمضمون أي (المحتوى) النصي لل سياق، ومن بين هؤلاء النقاد الدكتور محمد مندور: «الاهتمام المتصاعد بالمضمون نتيجة لتغير النظرة إلى وظيفة الأدب والفن في ضوء الفلاسفات الأخلاقية والاجتماعية الجديدة» (مندور، د.ت: ١٥٨)، فال مضمون هو ما يفصح للقارئ عن ماهية النص الأدبي. أما د. غالي شكري فقد كان له رأيه الخاص في الاهتمام بالمحتوى بسبب الصراعات السياسية، إذ يرى «أن استعمال النقد والأدب بوصفه أداة صراع سياسي، ومن هنا فإن أثر هذه الحقيقة بالانفعالات النقدية الساخنة... أكثر من التحليل الموضوعي الهادئ» (ينظر: شكري، ١٩٨١: ٨٥-٨٤). ولكل منهم رأيه الخاص في أولية السياق وتركيزه على المضمون قبل الشكل الخارجي، إلا أنني أرى إن (الشكل والمضمون) عنصريين مهمين في العمل الأدبي لكي يستطع الكاتب يتمايز عليه والالتفات للشكل والمضمون والتوا شج بينهما. «أما القراءات الايدولوجية فيكون القارئ فيها ذات قاعدة سياسة رصينة بحتة تقع تحت أطار حركة، أو منظمة سياقية أو قد يكون متأثراً، أو معجباً بتوجه أيديولوجي فكري يشكل مرجعية ثقافية، وفكرية وهذه القراءات تقوم باستنطاق القراء

لا استرجاع أحداث ما ضوية، والاسترجاع هو تصفح لذاكرة وذخيرة القارئ إذ يضع نفسه مكان المؤلف الذي طالما يغيب أو ينغمر في حيثيات النص فتظهر سلطة القارئ ليولد قراءة فعالة جديدة، وما القراءة إلا استرجاع لحصيلة القارئ المعرفية لاطلاعه على أحداث ماضوية ترفده لفتح مغاليق النص» (سعدون، ١٩٧٦: ٣٣).

٢-٣-٤. المستطرف في الأنساق الاجتماعية

هذا النسق يقوم على المؤدى الاجتماعي أو لنقل الغلبة الاجتماعية وتسيدها، ومراعاة أن تكون الأقوال بلحظاتها، ولعلها الغالبة في المستظرف؛ لكثرة ورودها ودورانها عند الأبشيهي، ونقتبس بعضها هنا، ومن ذلك ما أثر عن النبي (ص): «... وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا علي ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء. وروي أن أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شكى إلى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فإن القوة في كليهما. وسنذكر فضل الزهد في الطعام والشراب في باب مدح الفقراء إن شاء الله تعالى، وأما ما جاء في آداب الأكل، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب. وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا وضع بين يديه الطعام يقول: بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفة» (ينظر: الأبشيهي، ٢٠٠٨: ١ / ١٣٧)، ومنه أيضا: «... وقال علي بن أبي طالب (ع): من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر» (المصدر نفسه). وكذلك ورد في باب وقيل: «المنفعة توجب المحبة، والأذى يوجب الكراهية، والمخالفة توجب العداوة، والمتابعة توجب الألفة، والعدل يوجب وحدة واجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المودة، وسوء الخلق يوجب البعد والمباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة والتعظيم، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والتواني يوجب التضييع، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلامة، وإصابة التدبير توجب بقاء النعمة، وبالتأني تسهل المطالب، وبحسن المعاشرة تدوم المحبة، وبخفض الجانب تأنس النفوس، وبسعة خلق المرء يطيب عيشه، والاستهانة توجب التباعد، وبكثرة الصمت تكون الهيبة، وبعدل المنطق تجلب الجلالة، وبالنزاهة تكثر المواصلة، وبالأفضال يعظم القدر، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبال حلم على السفه تكثر أنصارك عليه... ومن لم يحلم ندم. ومن صبر غنم. ومن سكت سلم. ومن اعتبر أبصر. ومن أبصر فهم. ومن فهم علم. ومن أطاع هواه ضل. ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة. وزارع البر يحصد السرور. وصاحب العقل مغبوط. وصداقة الجاهل تعب... المروءات كلها تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والعقل أصله الثبوت وثمرته السلامة، والأعمال كلها تتبع القدر. وقد وردت كثيرا من نصوصه على هذا النحو، حتى استفاضت وربما كان هذا النمط هو الأكثر استعمالا في المستظرف».

(الأبشيهي، ٢٠٠٨: ١ / ٣٩، ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١١٧، ١٢٢ وغيرها كثير، و٤٣ / ٤٦، ٤٦، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٧، ٧٩، ٩٢، ١١٠، ١١٩، ١٢٤ وغيرها).

۲-۳-۵. النسق السياسي

تردد كثيرا في المستطرف ما يخص السياسة والدولة وشؤونها وصفة الوزراء والخلفاء والملوك حتى صار ما انتظم فيه هذا الكلام نسقا مهيمنا على الكلام الخاص بما يسمى في العصر الحديث بالسياسة، ومن ذلك ما ورد فيه: «فأحضرهم الوزير بهذه الطريقة ولعبوا بين يدي الملك، فإذا أصبى بينهم ضرب الكرة واقتربت من مجلس الملك منعته هيئته من التقدم لأخذها، إلا شاه بور، فإنه كان إذا ضربها، وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم، فأخذها ولا تأخذها الهيبة منه، فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا، فقال أيها الغلام ما اسمك؟ قال: شاه بور، فقال له: صدقت أنت ابني حقا، ثم احتضنه وقبله بين عينيه. فقال له الوزير: هذا هو ابنك أيها الملك، ثم أحضر بقية الصبيان مع عدد من الخدم، فأثبت لكل صبي منهم الدابة ضرة الملك، فتحقق الصدق في ذلك، ثم جاءت الجارية وقد تضاعف جمالها وحسنها، فقبلت يد الملك، فرضي عنها. فقال الوزير: أيها الملك لا بد من إحضار الوثيقة المختومة في هذا الوقت، فأمر الملك بإحضاره، ثم أخذها الوزير وفك ختمها وفتحها فإذا فيها ذكر الوزير وأنهاها مقطوعة مصادره فيها من قبل أن يتسلم الجارية من الملك، وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا يفعلوا به ذلك، فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة، قال: فاندعش الملك أردشيه ربهت من قوة نفس هذا الوزير في الخدمة، وشدة نصائحه، فزاد سروره وتضاعفت فرحته لصيانة الجارية وإثبات نسب الولد ولحوقه به، ثم شفي الملك من مرضه الذي كان به وصح جسمه، وظل يتمتع بنعمه وهو مسرور بابنه إلى أن وافته المنية، فعاد الملك إلى ابنه شاه بور بعد موت أبيه، وصار ذلك الوزير في خدمة ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى. والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. وقال في شكوى الزمان وانقلابه بأهله أنه قبل: ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة إلا وما قبلها هو خير منها. وسمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم. وكان معاوية يقول: المعروف في زماننا منكر زمان قد مضى، والمنكر معروف زمان لم يأت، وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (العضباء لا تسبق، فجاء أعرابي فسبقها، فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، فقال صلى الله عليه وسلم: إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من هذه الدنيا إلا وضعه.» (ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٨). وروي عن شيخ من همدان قال: «أرسلني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع الحميري بالهدايا، فمكثت شهرا لا أصل إليه، ثم بعد ذلك أشرف أشرافه من النافذة، فخر له من حول القصر ساجدين، ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر إلى حمص واشترى بدرهم لحما، وسمطه خلف دابته... ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا، فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه، أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، وهزمت ألف جيش، ثم جرى أمري حتى بعثت بسلة من الدراهم في رغيف فلم يوجد، ثم أرسلت زنبیلا من الجواهر فلم يوجد، فدققت الجواهر واستفيتها فمت

مكاني، فمن أصبح وله رغيغ وهو يظن أن على وجه الأرض من هو أغنى منه أماته الله كما تاتي...» (المصدر نفسه، ج ١: ٣١٠، ٣١١).

٢-٣-٦. النسق الديني

وهو المهيم في الآخر الذي يشغل حيزا في المستطرف، ومن أمثلة ذلك ما ورد ضمن عنوان (في مباني الإسلام)، وضمنه مباحث عديدة منها: الإخلاص لله والثناء عليه وفيه قوله: «في الإخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له. فرد لا مثل له. صمد لا ند له...» وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد». (الأبشيهي، ٢٠٠٨، ج ١: ١١)، ومنه أيضا ما ذكره من أنه سبحانه أزلي قائم، وأبدي دائم، أول لوجوده، ولا آخر لأبديته فيوم لا يفنيه الأبد، ولا يغيره الأمد، بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، منزّه عن الجسمية، وكذلك أورد في غير موضع ما يظهر من أجله هذا النسق واضح المفهوم متبين القصد، ومنه ما ورد عنه: «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات. أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة.» (المصدر نفسه، ج ١: ١١ و ١٢)، وروي أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثائة فصارت تاريخا مذكورا. قيل «إنها سقت أهل الموسم كلهم إلى سوق بالطبرزد والثلج، وأحضرت البقول المزروعة في المراكن على الجمال، وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار، ولم تستصحب فيها وعندها إلا بشموع العنبر، وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية، وأغنت الفقراء والمجاورين. ولما بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال: يا رب إن لكل عامل أجرا، فما أجر عملي؟ قال: إذا طفت به غفرت لك ذنوبك. قال: زدني. قال: جعلته قبلة لك ولأولادك، قال: يا رب زدني. قال: أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك. قال: يا رب حسبني، وفي الحديث: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. وقيل للحسن: ما الحج المبرور؟ قال: أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة» (المصدر نفسه، ج ١: ١٨) ومما يمكن عدّه نسقا دينيا ما ذكره منقولا عن رسول الله (ص): «وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر: أن أشعر كلمة قالتها العرب: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل. ثم بعد هذا الاعتقاد الإقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثه برسالة إلى الخلائق كافة وجعله خاتم الأنبياء، ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر، وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، من سؤال منكر ونكير، وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة، ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك. ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق، وأن الميزان حق، والحصراط حق، والحساب حق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقرّبون، وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد انتقامه، حتى لا يكون في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» (المصدر نفسه، ج

۱۲:۱)، وهذه كانت هي أهم الأنساق الواردة في المستطرف التي عثرنا عليها من خلال هذه الدراسة التي أظهرناها تفردا واضحا في سلطة النص عنده.

۲-۳-۷. النسق الثقافي

لمعرفة أفق التوقع في العمل الأدبي يجب أن يتخلص القارئ مما في داخله من النزعة النفسية التي يمر فيها اذا ما تعرض لنص ما أو إبداع تشكيلي معين وأيضاً استقبال الجمهور لهذا العمل وكيف سيكون تلقيهم لهذا الأثر الأدبي، وكل هذا يحتاج إلى حصة معرفية وخبرة لدى القارئ للوقوف على أفق توقعات الجماهير أو القراء. يعد أفق الانتظار المعيار الرئيس الذي يمتلكه الفرد لا استقبال النص، فهو ضمن المرجعيات ويطلق عليه أيضاً (أفق القارئ): «وهو تهيؤ المسبق لا استقبال النص وتذوقه له ويعد هو المعيار، والخبرة الجمالية التي تختلف من شخص لآخر، بحسب ثقافته وجنسه وعقيدته وهي تتحكم في استجابته للنص، وفي قبوله أو رفضه، وفي توجيهه في مسار خاص، وهذا الأفق يجعله في تهيؤ ذهني ونفسي خاص لا استقباله، ويخلق فيه توقعاً معيناً لثمنه أو وسطه أو نهايته، وهذا الأفق قائم على تصور القارئ للحياة وخبرته وفهمه للعالم» (ينظر: قصاب، ۲۰۰۹: ۲۲۲-۲۲۱)، وقد حدد هانس روبرت ياوس أهم ما يجب أن يتحصى به الناقد للوقوف على أفق التوقع ومعرفة المقصدية من وراء الأثر الأدبي، «إعادة تشكيل النظام المرجعي القابل للتحديد الموضوعي الذي يعد بالنسبة لكل أثر في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها حصيلة ثلاثة عوامل أساسية أو رئيسية: أولاً: خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه. ثانياً: معرفة شكل الأعمال الأدبية السابقة ومحتواها وموضوعاتها كما يفترض وجودها في العمل الجديد. ثالثاً: المقابلة بين اللغة الشعرية واللغة العلمية والفرق بين التجربة الواقعية وتجريب النص، وبين الحقيقة والعالم المتخيل». (ياوس، ۲۰۱۴: ۶۳) إذ إن فحوى أطروحة ياوس في كتابه (نحو جمالية التلقي) هي أطروحة ضد النزعة التشكيكية لأولئك الدارسين الذين يشككون في مدى قدرة تحليل التأثيرات التي ينتجها الأثر الفني، «ذلك أن القارئ اللبيب قادر على قراءة النص قراءة إنتاجية بتوافر آليات التلقي، وإن اطار عمل القارئ يتحدد بهم النص وإدراك ما هو موجود فيه من معانٍ ودلالات» (الحمداني، ۲۰۰۳: ۱۰۵). ويرى الناقد عبد الكريم شرفي في كتابه (من فلاسفات التأويل إلى نظريات القراءة)، «إن أفق الانتظار هو مفهوم إجرائي أو وظيفي إذ يعتبره ياوس مدار النظرية، لأنه الأداة المنهجية المثلى التي تمكن هذه النظرية في إعطاء رؤيتها الجديدة، القائمة على فهم الظاهر الأدبي في أبعاده الوظيفية والجمالية والتاريخية من خلال سيرورة تلقيها المستمرة، شكلاً موضوعياً ملموساً» (يلاحظ: شرفي، ۲۰۱۷: ۱۶۲). يتضح من ذلك أن أفق التوقع أو الانتظار له دور في نظرية التلقي، إذ بوجوده يستطيع المتلقي التمييز بين الأعمال الأدبية في زمن ظهورها وتلقيها في الزمن الحاضر مروراً بسلسلة التلقيات المتتالية التي عرفت من قبل، «وأيضاً معرفة الظاهرة الأدبية على ضوء التلقي الخاص والتميز الذي تعرفه عند كل لحظة تاريخية في علاقته الجدلية بالتلقيات السابقة التي أسست له أو أدت إليه، ويستخلص من ذلك أن المفهوم هو الذي يسعف على بناء تاريخ الأدب في نظرية ياوس» (ينظر: المصدر نفسه)، إذ يتخذ مفهوم أفق الانتظار

مركز الصدارة في هذا المشروع إذ يوضح ياوس في الأطروحة الثانية وهي من أطروحاته السبع. ويعد كسر أفق الانتظار، واللامتوقع، أو خيبة الانتظار وخبية التوقع المتلقي، من أهم المفردات الإجرائية في عملية التلقي واستقبال النصوص الأدبية وقد ركز عليه ياوس وأبرزهما عند دراسته لنظرية التلقي، وهي اللبنة الأساس للنظرية بوصفها تؤدي دوراً جمالياً مؤثراً في عملية بناء العمل الفني الأدبي، إذ إن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقع أو ينتظر شيئاً منه» (ابن الضب، ٢٠١٦: ١٧)، ثم يفاجئ القارئ بغير ذلك عند بحثه عن كسر أفق التوقع.

أخذت المفردة الإجرائية (أفق) صدى واسعاً عند النقاد واهتمامهم في الوقوف على ما يحدث أفق مغاير في النصوص، وقد وصفها البعض بأنها: «قطب الرحي الذي تدور حوله بقية مفاهيم النظرية، فالنص لا ينبثق من فراغ ولا يؤول إلى فراغ، وكل كاتب ينطق من أفق فكري وجمالي بالجنس الأدبي الذي يبدع فيه، ومن تصوره الخاص للكتابة، ومن ذخيرة قراءته، وبالمقابل فإن القارئ يمتلك أفقاً جمالياً وفكرياً يتحكم في تلقيه ذلك النص، ويتألف ذلك الأفق من خبرة القارئ بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص المقروء، ومن وعيه، بالعلاقات التناصية التي تربطه بنصوص أخرى من حيث البنية الشكلية والتميمية، ومن معرفته بالفرق الجوهرية بين التجربة النصية والتجربة الواقعية التي تميز الأدبية، أي الفرق بين الوظيفة الشعرية والوظيفة العملية للغة» (هذيلي، ٢٠١٨: ١٣٠-١٣١)، «لذا تعد التجربة الواقعية من حركات النص الأدبي. وقد وضع ياوس حداً للمتلقى بأفقين» (المصدر نفسه: ٥٦٥): أولاً: الأفق السابق الذي يكون عليه القارئ قبل الشروع في قراءة النص، ولهذا الأفق مكونات كالتقانات ودرجة الثقافة المتشكلة بفعل قراءات سابقة، والتي تحدد بمجملها مرجعيته الذهنية. ثانياً: الأفق الحاضر: يبدأ بتشكيل لحظة التلقي، ولهذا يقول ياوس: بأن النص الجديد يستدعي إلى ذهن القارئ وأفق التوقع ويعرفه ففصل النصوص السابقة، وأي جنس أدبي هو عملية تطور متواصلة في خلق آفاق جديدة للتوقع والتفسير.

تعارض المصالح: قال المؤلف: ليس تعارض المصالح في هذا المقال، وهو مرسول لهذه المجلة فقط.

النتائج

هناك مجموعة من النتائج التي خلصنا إليها في هذه الدراسة، نذكر منها الآتي:

كان المهيمن الغالب والأكثر دورانا في كتاب المستظرف من الانماط والانساق الثقافية هو النمط الاجتماعي لما كان من ظهوره، وفهمه لها إذ كان بوصفه منسجلاً للنصوص مغذياً لما ستؤول إليه تلك النصوص التي ضمنها الكتاب، وكان طرفا الخطاب اللغوي (المنشئ والمتلقي) على مستوى واضح من إدراك ما ورد في الكلام، لما كانا يعيشانه من الأمور الاجتماعية التي التزم الأبشيبي توظيفها.

حرص الأبشيهي على معالجة كلما يتصل من قريب أو من بعيد بالأنساق وإن لم يكن قاصدا إياها لأجلها غير أنها ظهرت بوضوح متأثرة بثقافته، وثقافة متلقيه كل بحسب مستوى تعاطيه مع المادة، وبحسب فهمه لها. ظهر في المستطرف أثر الثقافة اللغوية بشكل واضح متناهٍ في الدقة وانعكس هذا الأثر جليا في أنماط الأنساق التي وظفت في ما اشتملت عليه نصوصه.

النسق السياسي كان الاقل حضورا من بين الأنساق الثقافية المهيمنة على نصوص الأبشيهي، ولعل السبب في ذلك راجع إلى السلطة الحاكمة آنذاك وما انعكس من آثاره، وانصراف المؤلفين إلى الإضمار وإخفاء الرمز في مضمّنات الكلام، وقلّ التصريح به حتى كان شبيها بالانعدام

كان أسلوب الأبشيهي متسقا حتى كأنه كان على وتيرة واحدة من حيث سوق النصوص الواردة في متن المستطرف، وعمد إلى ذكر الروايات والحوادث التاريخية معززا بعها ما ذكر من نصوص، وهي في حدّ ذاتها تقوي أو اصر النصوص ولحمّتها، وتزيد من تقوية النسق الظاهر أو المضمّر في كل نص على حدة.

ومن أبرز ما يفاد من الأنساق المضمّنة والمصاحبة للنصوص في المستطرف، الحياة الاجتماعية واثّر ثقافة الفرد (المؤلف) وثقافة المجتمع الذي عاش فيه ردحَ زمانه، ولذا نرى أنّه بالإمكان استخلاص موضوعات أخرى تأخذ على عاتقها الكشف عما يتصل بأثر الثقافة الاجتماعية ببيان الحياة الواقعية الفعلية وما تصوّره لنا من استعمالات تمليها الثقافة الواقعية على أبناء المجتمع.

تعارض المصالح: قال المؤلف: ليس تعارض المصالح في هذا المقال، وهو مرسل لهذه المجلة فقط.

المصادر

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (٢٠٠٨م). المستطرف في كل فن مستظرف، ط ١. بيروت: دار الفكر.
ابن الضب، حميدة (٢٠١٦م). جماليات التلقي في النقد العربي الشفوي القديم. رسالة ماجستير في جامعة قاصدي مرياح ورقلة - كلية الآداب: ١٧.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٦). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
أبو زيد، نصر حامد (٢٠١٤م). مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن). ط ١. المغرب: مكتبة الفكر الجديد، الدار البيضاء.
بدر، ضحى مجيد (٢٠١٦م). رسائل ابن حزم الأندلسي في ضوء نظرية التوصيل. رسالة ماجستير في جامعة القادسية - كلية الآداب.
تودوروف، ترفيتان (١٩٩٦م). ميخائيل باختين - المبدأ الحوارية. ترجمة: فخري صالح. ط ٢. الأردن: دار فارس للنشر والتوزيع.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلي (١٩٩٩). كشف الظنون. بيروت: دار الإحياء التراث العربي.
الحمداني، حميد (٢٠٠٣م). القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي. ط ١. بيروت: المركز الثقافي العربي.
حمودة، عبد العزيز (١٩٩٨). المرايا المحدبة من النبوية إلى التفكيك. بيروت: دار المعرفة.

- الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد (٢٠٠٢م). دليل الناقد الأدبي. ط٣. المغرب: الدار البيضاء.
- الزناد، الأزهر (١٩٩٣م). نسيج النص، بحث في ما يكون به ملفوظ نصه. ط١. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الزيادي، تراث حاكم (٢٠١١م). الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني. د.ط. العراق-بابل: دار الصفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة الصادق الثقافية.
- سعدون، نادية هناوي (١٩٧٦). القارئ في الخطاب النقدي العربي المعاصر نجيب محفوظ أنموذجاً. مصر: دار الهلال.
- شرفي، عبد الكريم (٢٠١٧م). من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، ط١، منشورات الاختلاف- الجزائر.
- شكري، غالي (١٩٨١م). سيميولوجيا النقد العربي الحديث. ط١. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الصبيحي، محمد الأخضر (٢٠٠٨م). مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. ط١. الجزائر: الدار العربية للعلوم والشؤون، منشورات دار الاختلاف.
- عزام، محمد (٢٠٠٧م). التلقي والتأويل بيان سلطة القارئ في الأدب. ط١. دمشق: دار الينابيع.
- عنوز، كاظم (٢٠١٦). أثر التماسك النصي في تكوين الصورة البيانية شعر خالد الكاتب أنموذجاً. د.ط. بغداد: دار الكتب والوثائق.
- فضل، صلاح فضل (١٩٩٢م). بلاغة النص وعلم الخطاب. ط١. الكويت: عالم المعرفة.
- الفيروز آبادي، محمد الدين محمد بن يعقوب (١٩٩٥م). القاموس المحيط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- قصاب، وليد إبراهيم (٢٠٠٩). مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية. دمشق: دار الفكر.
- كرستيفيا، جوليا (١٩٩١م). مدخل إلى علم النص. ترجمة: فريد الزاهي. د.ط. المغرب: دار توبقال- الدار البيضاء.
- مباركية، عبد الناصر (٢٠٠٥م). استراتيجية القارئ في البنية النصية. الرؤية أنموذجاً. أطروحة دكتوراه بإشراف الاستاذ الدكتور محمد العيد ناورته، جامعة منتوري- الجمهورية الجزائرية.
- مروك، دليلة (٢٠١٠م). استراتيجية القارئ في شعر المعلقات، (معلقة أمروئ القيس) نموذجاً. رسالة ماجستير بإشراف الدكتور: ليلي جبار، جامعة منتوري- الجمهورية الجزائرية.
- مندور، محمد (د.ت). الأدب وفنونه. د.ط. مصر: دار النهضة للطبع.
- مؤنسي، حبيب (٢٠٠٧). نظريات القراءة في النقد المعاصر. ط١. الجزائر: منشورات دار الأديب- الجزائر.
- هذيلي، علي حسن (٢٠١٨م). التفكيك والتلقي بين النظرية والممارسة. ط١. بيروت: دار سطور.
- هولب، روبرت (٢٠١٩). نظرية التلقي (مقدمة نقدية). ترجمة عز الدين اسماعيل. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- ياوس، هانس روبرت (٢٠١٤م). نحو جمالية التلقي. ترجمة: محمد مساعدي. ط١. بيروت: النايا للدراسات والنشر، لبنان.
- يوسف، حمزة فاضل (٢٠١٠). رؤية لسانية في الإعجاز القرآني. سوريا: دار رند للطباعة والنشر والتوزيع.

References

Al-Abshihi, Shahab Al-Din Muhammad bin Ahmed (2008 AD). al- Mustatraf fi kull fann mustazraf. 1st edition. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ibn Al-Dab, Hamida (2016 AD). Aesthetics of reception in ancient Arabic oral criticism (Tamaliaat al-talaqiyy fi al-naqd al-arabii al-shafawii al-qadim). Master's thesis at the University of Kasdi-Mariah Ouargla - Faculty of Arts: 17.

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram (1996). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader.

Abu Zaid, Nasr Hamed (2014 AD). Mafhum al-Nas (The concept of the text: a study in the sciences of the Qur'an). 1st edition. Morocco: Maktabat al-fikr al-jadidi, al-daar al-bayda'.

Badr, Doha Majeed (2016 AD). The letters of Ibn Hazm Al-Andalusi in light of the theory of conduction. Master's thesis at Al-Qadisiyah University - College of Arts.

Todorov, Tzvetan (1996). Mikhail Bakhtin - The Dialogical Principle. Translated by: Fakhri Saleh. 2nd ed. Al-Ardat: Dar Fares for Publishing and Distribution.

Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah Kateb Jalabi (1999). Kashaf al-Zunun. Beirut: Dar al-'Ihya' al-Turath al-Arabi.

Al-Hamdani, Hamid (2003 AD). Al-Qira'at wa Tawlid al-Dalalah Taghyir Adatina fi Qira'at al-Nas al-'Adbi. (Reading and generating meaning: Changing our habits in reading literary text). 1st edition. Beirut: Arab Cultural Center.

Hamouda, Abdul Aziz (1998). Al-Maraya al-Muhadabat min al-Binyawiat 'iila al-Tafkik (Convex mirrors from structuralism to deconstruction. Beirut: Dar Al-Maarifa).

Al-Ruwaili, MeJan, and Al-Bazei, Saad (2002). The Literary Critic's Guide. 3rd edition. Casablanca, Morocco.

Al-Zanad, Al-Azhar (1993 AD). The texture of the text. Beirut: Arab Cultural Center.

Al-Ziyadi, Turath Hakim. (2011 AD). The semantic lesson according to Abdul Qahir Al-Jurjani. Iraq-Babylon: Dar Al-Safaa for Publishing and Distribution, Al-Sadiq Cultural Foundation.

Saadoun, Nadia Hanawi (1976). The reader in contemporary Arab critical discourse, Naiib Mahfouz, as a case study. Egypt: Dar Al-Hilal.

Sharafi, Abdul Karim (2017 AD). From philosophies of interpretation to theories of reading, a critical analytical study in modern Western theories, 1st edition, al-Ikhtilaf Publications - Algeria.

Shukri, Ghali (1981 AD). Sociology of modern Arab criticism. 1st edition. Beirut: Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing.

Al-Subaihi, Muhammad Al-Akhdar (2008 AD). Introduction to textual science and its application fields. 1st edition. Algeria: Arab House for Science and Affairs, Dar Al-Ekhtilaf Publications.

Azzam, Muhammad (2007 AD). Reception and interpretation are a statement of the reader's authority in literature. 1st edition. Damascus: Dar Al-Yanabi'.

Fadl, Salah Fadl (1992 AD). The rhetoric of text and the science of discourse. 1st edition. Kuwait: Aalam al-Marifah (The world of knowledge).

Al-Firouzabadi, Majd al-Din Muhammad bin Yaqoub (1995 AD). alqamus almuhit (ocean dictionary). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Qassab, Walid Ibrahim (2009). Methods of modern literary criticism - an Islamic vision. Damascus: Dar Al-Fikr.

Christefia, Julia (1991). Introduction to textual science. Translated by: Farid Al Zahi, Morocco: Dar Toubkal - Casablanca.

Mubarakia, Abdel Naser (2005 AD). Reader's strategy in textual structure. A case study: Vision. Doctoral thesis supervised by Professor Dr. Mohamed Al-Eid Nawarta, Mentouri University - Republic of Algeria.

Maruk, Dalila (2010). The reader's strategy in the poetry of the Mu'allaqat, (the Mu'allaqat of Imru' al-Qais) as a case study. Master's thesis supervised by Dr. Laila Jabbar, Mentouri University - Republic of Algeria.

Mandour, Muhammad. Literature and its arts. Egypt: Dar Al-Nahda Printing.

Munesi, Habib (2007). Theories of reading in contemporary criticism. 1st edition. Algeria: Dar Al-Adib Publications - Algeria.

Hudhaili, Ali Hassan (2018 AD). Deconstruction and reception between theory and practice. 1st edition. Beirut: Dar Suttur.

Holp, Robert (2019). Reception theory (critical introduction). Translated by Ezz al-Din Ismail. Cairo: Academic Library.

Jaus, Hans Robert (2014). Towards the aesthetics of reception. Translated by: Muhammad Musaidi. 1st edition. Beirut: Al-Naya for Studies and Publishing, Lebanon.

Youssef, Hamza Fadel (2010). A linguistic view of the Quranic miracle. Syria: Dar Rand for printing, publishing and distribution.

